ارتقاء الشرق وطمع الغرب

ووصية سبنسر لليابان

لما وضعت الحرب اوزارها ووضع الحلفاء نظام الانتداب للبلدان التي فصلوها عن تركيا والمانيا زاعمين انهُ بني بشروط اميركا لما دخلت الحرب وهي « لا فتح ولا ضم » اوجسنا شرًّا لعلمنا ان الظلم من شيم النفوس وان القوي يأكل الضعيف اذا تضاربت المصالح وكيف لا تتضارب في هذا العصر والمال معبود الانسان يتوسل اليهِ بكل وسيلة ودليلنا في ذلك وصية سبنسر لليابان. وقلنا اذا كان لا بد من الانتداب فليختر اخف شرين واشرنا بطلب اميركا لانها احسنت في احتلالها لكوبا ثم خروجها منها وفي احتلالها لجزائر فيلبين ومساعدة سكانها . ولكن ابت المصالح المالية والطائفية الاَّ ان تسيِّر الامور كما تشاء

وقد رأينا ان نعيد نشر وصية سبنسر وما كتبناهُ تمهيداً لها وتعقيباً عليها منذ اثنتين وعشرين سنة لما فيها من الحقائق والنصائح التي يجب ان تكرَّر دواماً لئلاَّ تنسى . وهاك نص الوصية والتمهيد والتعليق

لقد وفقت اليابان اكثر مما وفقت دولة شرقية اخرى الى تعليم بعض ابنائها في مدارس اميركا وانكلترا والمانيا حيث قرأوا كتب كبار الفلاسفة فخرجوا منها واسعي المدارك احرار الافكار يسعون في مصلحة بلادهم على اسلوب يفيدها ولا يضرُّ بها . ومن هؤلاء الرجال رجل اسمهُ البارون كنتارو كانيكو وقد أُعطي لقب بارون بعد نظير مكافأة لهُ . فانهُ درس في مدرسة هارفرد الجامعة باميركا ولما عاد الى بلادهِ تقلَّب في كثير من مناصبها وكان اليد اليمنى لمركيز ايتو وزير اليابان الاعظم ولهُ الشأن الاكبر في تنظيم البارلمان الياباني . وانتخب سنة ١٨٩٠ عضواً في مجمع الشرائع الدولية او حقوق الدول الذي يعقد عادة في مدينة جنيفا بسويسرا وكانت اليابان ترقب هذا المجمع لترى ما يكون رأيهُ في اشتراكها مع الدول الاوربية . ومن المقالات التي تليت فيهِ مقالة للسر ترانرس توس المعدود في الطبقة الاولى بين علماء القوانين الدولية اشار فيها على الممالك الشرقية ان تبقى منفصلة عن الممالك الاوربية. فقصد البارون كانيكو ان يناضلهُ ويبين لهُ ولعلماء القوانين المجتمعين هناك ان اليابان حرية بان تعامَل معاملة خاصة فتنتظم في سلك الدول الاوربية وتعطى حقوقها . واستأذن حكومتهُ في المجيء الى جنيفا لهذه الغاية ليحضر

اجتماع هذا المجمع سنة ١٨٩٢ . وكان قد قرأ كتب هربرت سبنسر واستقى من معين فلسفته وودَّ ان يراهُ وجهاً لوجه ويسألهُ رأيهُ في بعض المسائل الهامة . ومرَّ باميركا في طريقهِ الى اوربا وطلب من الاستاذ جون فسك الاميركي كتاباً الى الفيلسوف هربرت سبنسر ليقابلهُ بهِ فابى فسك لعلمهِ بانقطاع سبنسر عن مقابلة الناس لكن البارون لجَّ عليهِ في الطلب فاجابهُ الى طلبهِ وسلَّمهُ الكتاب فسار بهِ الى انكلترا وارسلهُ الى سبنسر مع كتاب آخر منهُ بيَّن لهُ فيهِ غرضهُ من طلب زيارتهِ فجاءهُ الجواب من سبنسر حالاً يدعوهُ الى بيتهِ واستمرَّت المقابلة الاولى ساعتين فان سبنسر كان قد جمع اموراً كثيرة متعلقة بتاريخ اليابان وسياستها وعادات اهلها واديانهم واخلاقهم فجعل يسأل البارون كاتيكو عن كل صغيرة وكبيرة منها وسرَّ بذلك جدًّا حتى انهُ ركب معهُ واعادهُ الى النزل الذي كان فيهِ وعرض عليهِ ان ينتظم في عضوية نادي الاثينيوم لكي يراهُ كل يوم لانهُ كان عضواً في ذلك النادي وكان يتغدَّى فيهِ . وبعد قليل أعلن البارون كاتيكو انهُ قبل عضواً في ذلك النادي ودعاهُ سبنسر للغداء في اليوم التالي

وذهب البارون كاتيكو الى جنيفا وتلا مقالة بليغة في مجمع الشرائع الدولية طلب فيها ان تعطى اليابان حقوق الدول الاوربية وذاكر اعضاءهُ واقنع كثيرين منهم بصحة طلبهِ وعاد الى انكلترا يسعى لدى رجال الحكومة الانكليزية في تحقيق امنيتهِ وقابل سبنسر وهو ينتظر منهُ كل تعضيد فرآهُ على ضد ما انتظر يشير عليهِ بان تبقى اليابان منفصلة عن الدول الاوربية جهدها . واحتدمت نار الجدال بين الاثنين لكن الغلبة كانت لسبنسر لانهُ جمع من اخبار الممالك وحوادث الامم ما تضيق بهِ الكتب وعرف من اخلاق الناس وعاداتهم ومعتقداتهم ما اوصلهُ الى احكام مقررة لا تتغير . ثم كتب لهُ الكتاب التالي جامعاً فيهِ زبدة ما اشار بهِ عليهِ وارشدهُ اليهِ وهذا تعريبهُ

« سيدي العزيز . اني اجيبك الى ما طلبتهُ وهو ان ترسل ترجمة كتابي الى الكونت ايتو وزير اليابان الجديد فافعل ما تريد . اما من جهة المسائل الاخرى التي سألتنيها فاقول بوجه عام ان سياسة اليابان يجب ان تكون ابعاد الاميركيين والاوربيين عنها ولو قيد ذراع . فان موقفكم حرج والخطر المحدق بكم بزمن لوجود امم اخرى اقوى منكم فايذنوا اقصى جهدكم في منع الاجانب من ان يتمكنوا في بلادكم

« ويظهر لي ان المعاملات التي تفيدكم ولا تضرُّ بكم انما هي المعاملات اللازمة لتبادل الحاصلات الطبيعية وغير الطبيعية من صادرات وواردات . فلا تمنحوا امتيازات لامم

اجنبية وخصوصاً الامم التي هي اقوى منكم الاَّ ما كان لازماً منها لهذه المعاملات. فاني ارى انكم تريدون من تنقيح المعاهدة التي بينكم و بين دول اوربا واميركا ان تفتحوا سلطنتكم كلها للاجانب ولاموالهم فساعتئذٍ في هذه السياسة لانها الضربة القاضية عليكم. فاذا اردتم ان تعلموا ما سيحلُّ بكم فاقرأوا تاريخ الهند. انيلوا احدى الدول القوية موطئ قدم في بلادكم وسنداً تستند اليهِ فتتحول الى الاعتداء عليكم بمرِّ الزمن و يقضي الامر الى وقوع النزاع بينها و بينكم فتشيع ان ذلك النزاع انما هو اعتداء منكم عليها فيجب ان تثأر لنفسها منكم. فتضع يدها على قسم من بلادكم وتستعمرهُ بابنائها وتتخذهُ قاعدة تحمل منها عليكم لاخضاع سائر السلطنة اليابانية. نعم انكم تجدون المصاعب العظيمة في تجنُّب هذا الخطر ولكن اذا تجنبتم الاجانب امتيازات غير التي ذكرتها سهَّلتم عليهم ما يسعون اليهِ

« ولتفصيل هذا الاجمال اقول جواباً عن سؤالكم الاول انهُ يجب ان تمنعوا الاجانب من امتلاك ارض في بلادكم ومن استئجارها الى مدة طويلة وانما تسمحون لهم باستئجارها سنةً فسنة

« واقول جواباً عن السؤال الثاني امنعوا الاجانب من التعدين في مناجم حكومتكم منعاً تامًّا لان ذلك قد يفضي الى وقوع النزاع بين الاوربيين او الاميركيين الذين التزموا المعادن و بين الحكومة فيستنجد الملتزمون بدولهم و يطلبون منها ان ترسل الجنود لانصافهم وانالتهم ما يطلبونهُ مهما جاروا في طلبهم. والعادة عند الاوربيين ان يصدقوا جميع ما يقول وكلاؤهم وعملاؤهم الذين في الخارج

« واقول جواباً عن السؤال الثالث انهُ يجب عليكم ان تبقوا تجارة سواحلكم في ايديكم ولا تجعلوا للاجانب يداً فيها اما الاصناف التي تأتيكم من الخارج و يباح للاجانب ان يأتوكم بها فليكن موزعوها والتاجرون بها في البلاد منكم لا من الاجانب الذين يأتون بها الى بلادكم لئلاَّ يفضي ذلك ايضاً الى خصومات كثيرة تجرُّ التعدي على املاككم

« اما سؤالكم الاخير المتعلق بالتزوُّج من الاجانب وهو السؤال الذي يشغل علماءكم وساستكم وتعدونهُ من اصعب المسائل كما قلتم في كتابكم فليس بالصعب حقيقة وجوابي عنهُ ان تمنعوا مزاوجة اليابانيين والاجانب. وهذه المسألة ليست من شأن الفلسفة الاجتماعية بل من شأن علم الحياة (البيولوجيا). فانهُ ثبت من تزاوج اصناف البشر المختلفة وتزاوج اصناف الحيوانات المختلفة انهُ اذا زاد الاختلاف بين الاصناف المتزاوجة عن حد معين كان النتاج ضعيفاً وقد سمعت ما يؤيد هذا الامر منذ نصف ساعة فقط فاني نازل هذه

الايام ضيفاً على رجل معروف في الجبل وخبير بتربية المواشي وقد اكد لي انهُ اذا تزاوج صنفان من الغنم يختلف احدهما كثيراً عن الآخر كان نتاجهما ضعيفاً جداً وخصوصاً في العقب الثاني . وهكذا يحدث بين البشر كما ترون في المتولدين بين الهنود والاوربيين . والسبب الفسيولوجي في ذلك هو على ما يظهر ان كل صنف من الاصناف يكتسب على مر الايام مزايا وصفات تؤهلهُ لحالة خصوصية من حالات الحياة فاذا تزاوج صنفان مختلفان اختلافاً عظيماً في اصلها وفي احوال الحياة التي اعتاداها جاء نتاجهما فاقداً لمزايا كلٍّ منهما غير صالح لحال من احوال حياتهما . ومهما يكن من ذلك كله فوصيتي لكم ان تمنعوا تزاوج اليابانيين والاجانب .

« وبناءً على ما تقدَّم استصوبتُ القوانين التي سنتها اميركا لتقليل مهاجرة الصينيين اليها ولو استطعتُ لقللت مهاجرتهم اليها ما امكن وذلك لانهم اذا استمروا على المهاجرة فاما ان يحافظوا على قوميتهم ولا يتزاوجوا الاميركيين فيكونوا كالعبيد بينهم، واما ان يتزاوجوهم فيأتي نسلهم ضعيفاً فالنتيجة ضرر على الاجتماع الانساني في الحالين وبالتالي صيرورة هذا الاجتماع فوضى وهذا ما يحدث اذا تزوج الاوربيون والاميركيين بمتزوجون اليابانيين . فترى من ذلك ان وصيتي تقضي العزلة من كل وجه . واختم كتابي بما بدأتهُ وهو ان تبعدوا الامم الاخرى عنكم ما استطعتم . هذه هي نصيحتي اسرُّها اليكم راجياً ان لا تذاع في حياتي لاني لا احب ان اهيج ابناء وطني ولا ان اسخطهم عليَّ » «هربرت سبنسر»

« صح قلت اني ارى ان يبقى كتابي هذا سرًّا ما دمت حيًّا ولكن لا يخفى عليكم اني لا أريد بهذا القول ان تكتموهُ عن الكونت ايتو بل اريد ان تطلعوهُ عليهِ ليجعلهُ محل النظر والاعتبار

تاريخ هذا الكتاب ٢٦ اغسطس سنة ١٨٩٣ ويقول المطَّلعون على احوال اليابان انها جعلتهُ قاعدة لسياستها وجرت عليهِ تماماً فلم تشارك الدول الاوربية في شيء الاَّ بعد ان قوي ساعدها وصارت لا تخشى اعتداءهم عليها . ثم لما رأت ان هذه المشاركة قد توقعها في مشاكل لا تقوى عليها وحدها تحالفت مع الدولة التي تنتظر منها المساعدة الكبرى في بلادها الثانية وهي انكلترا سيدة البحار فحالفتها ووقفت في اقاصي المشرق عزيزة الجانب تناظر روسيا وتتحداها

وخلاصة وصية سبنسر ان الضعيف يجب ان يتعلم من القوي ويتجنبهُ الى ان يقوى ويصير

بأمن منهُ . ولكن لو عمَّت حقوق الدول لصارت الممالك الضعيفة في غنىً عن هذه الوصية وهذا التجنُّب فان في اوربا ممالك صغيرة لا تتجنب الممالك الكبيرة التي حولها ولا تخشى من اعتدائها عليها لانها خاضعة كلها لما يُعرَف بقانون حقوق الدول

هنود اميركا والاهتمام بهم

لا يُعدَمُ الحقُّ انصاراً . وانصارهُ في الغالب العلماء والمجلات العلمية

جاءنا عدد يناير من مجلة السينتفك اميركان فرأينا فيهِ مقالةً موضوعها « مأساة الهنود » اي هنود اميركا حملت فيها على الحكومة الاميركية والشعب الاميركي لانهم ظلموا اولئك الهنود ووصفت ما اصابهم وصفاً ينطبق على ما اشار اليهِ الفيلسوف هربرت سبنسر في المقالة السابقة . قالت السينتفك اميركان

ان معاملتنا للهنود عارٌ على الشعب الاميركي فانهم اذا قيسوا بمقياس الآداب الاوربي فقد كانوا اعلى اداباً من كل الشعوب التي عرفها التاريخ . لكن قسوس المستعمرات حسبوهم من نتاج جهنم وقالوا انهُ يجب استئصالهم كما أمر بنو اسرائيل ان يستأصلوا شعوب فلسطين في العهد القديم . فان الاميركيين الذين سكنوا اطراف البلاد استنبطوا خرافة مفادها ان الاقوام الذين سكنوا بلاداً منذ عهد متوغل في القدم هم اقوام رُحَّل لا يملكون ارضاً . فلما اخذت الولايات المتحدة ما كان لبريطانيا من الحقوق على رعاياها حسب الاميركيون الذين في اطراف البلاد ان هنود اميركا وجواميسها من قبيل واحد . قال بعضهم سنة ١٧٨٢ وهو من كتَّاب الحدود انني اقرب الى الاعتراف بحق الجواميس لامتلاك الارض مني الى الاعتراف بحق الهنود لامتلاكها . وقال ايضاً « ان الذين تسميهم العامة هنوداً هم حيوانات مطبوعة على الشراسة والقسوة وعندي ان استئصالهم مفيد للعالم ويعود بالفخر على الذين يستأصلونهم »

هذا كان رأي اولئك البيض الذين يحسبون متمدنين في الهنود سكان البلاد الاصليين ولذلك لا عجب اذا لجأ الهنود الى العنف في الدفاع عن انفسهم وعن ارضهم

ان وشنطون كان يعرف قرمهُ فحاول حماية الهنود ومنع الاعتداء عليهم فجاء في الدستور الاميركي انهُ لا يجوز اخذ ارض من الهنود الاَّ بموجب معاهدة بينهم وبين حكومة اميركا . لكن ولاية نيويورك تجاهلت الدستور وبنودهُ . وولاية جيورجيا نقضت